

" تأثير اللغة العربية في اللغة الجورجية "

" وتوظيف ذلك في تعليم اللغة العربية للطلاب الجورجيين "

د. عطية محمد عبد الغفار يوسف

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وجعل أهل الجنة تحييتهم يوم يلقونه " سلام "، والصلاة والسلام على خير الأنام، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ورضي الله عنهم وعنا أجمعين.
وبعد،

فإن الله سبحانه خلق الخلق وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وجعل اللسان وسيلة بيان واتصال فيما بينهم، وبعث في كل أمة رسولاً بلسان قومه، واختتم رسالاته بلسان محمد العربي الأمين، وجعله رحمة وهدى للعالمين، فاختر اللسان العربي ليبلغ به مراده من الخلق في الرسالة الخاتمة، وكان خير تشریف لسان العربي، وإيداناً منه بسيادته، وانتشاره في كل مكان انتشرت فيه دعوة الإسلام، لذلك أخهضت العربية بخصائص ومقومات ميزتها عن غيرها من اللغات، وضمنت لها السيادة وقوة التأثير فيما جاورتها من لغات، أو ما وصلت إليه من بلاد وحضارات.

ولما كان الاحتكاك الحضاري من القوانين الاجتماعية الإنسانية، فقد صاحبه احتكاك لغوي، كانت الغلبة فيه للغة ذات التأثير الأقوى، مما يؤدي بالضرورة إلى دخول مفردات اللغة ذات السيادة والنفوذ إلى اللغة الأخرى، وهذا ما حدث من احتكاك لغوي بين اللغة العربية واللغة الجورجية؛ بسبب عوامل عدة توافرت، وهيات الفرصة لدخول كلمات عربية إلى الجورجية؛ منها الجوار البيئي والجغرافي، والأحداث التاريخية، والاقتصاد والتجارة العالمية، والتقدم العلمي، فضلاً عن كثرة المتكلمين، وكلها عوامل سيادة للغة العربية-إبان السيادة العربية-.

من هنا كان بحثي الموسوم بـ " تأثير اللغة العربية في اللغة الجورجية، وتوظيف ذلك في تعليم اللغة العربية للطلاب الجورجيين " محاولة لإماطة اللثام عن تأثير اللغة العربية في اللغة الجورجية من خلال المحاور الآتية:

- العلاقة التاريخية بين العرب والجورجيين قديماً.
- العوامل التي أدت إلى الاحتكاك اللغوي، وساعدت اللغة العربية على هذا التأثير، وبيان الأثر العربي الشاهد على ذلك من خلال: الكتابات العربية على جدران المقابر، أو النقوش العربية على النقود الجورجية، أو المخطوطات العربية التي لا تزال في جورجيا إلى الآن.
- الكلمات العربية التي دخلت اللغة الجورجية وصارت جزءاً لا يتجزأ منها، والتغيرات التي طرأت عليها.
- توظيف تلك الكلمات في مساعدة الطلاب الجورجيين على تعلم اللغة العربية، إيماناً برسالتنا تجاه لغتنا.
- خاتمة تضمنت النتائج والتوصيات.

لعلاقات التاريخية بين العرب وجورجيا

إن إلقاء الضوء على العلاقات التاريخية العربية الجورجية يوضح لنا مدى التقارب بين الثقافتين، وأن ملامح هذه العلاقات كان لها - ولا شك - دور كبير في التأثيرات اللغوية التي حدثت بين اللغة العربية واللغة الجورجية؛ إذ إن " احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، واحتكاكها يؤدي حتماً إلى تداخلها " (١). وهذا الاحتكاك اللغوي ناتج عن الاحتكاك الحضاري الذي يستتبع احتكاكاً لغوياً في الغالب بين اللغة الأصلية واللغة الوافدة " (٢)

ولكى يتضح ذلك جلياً، علينا إلقاء نظرة خاطفة تبين مدى عمق العلاقات التاريخية العربية الجورجية، تلك العلاقات التي كانت بمثابة الاحتكاك الحضاري بينهما، والتي استتبعت - بالضرورة - احتكاكاً لغوياً.

جاء ذكر بلاد جورجيا في المصادر العربية القديمة تحت عدة أسماء مختلفة؛ فالطبري والبلاذري وغيرهما يطلقون عليها اسم " جرجان " (٣)، ويسميتها ابن حوقل والقلقشندي والنويري وغيرهم " بلاد الكرج " (٤)، وهي أكثر التسميات وروداً في المصادر الإسلامية، ويسميتها القزويني والمسعودي " خزران " (٥)، وقد يُطلق عليها " مملكة جرجين " (٦)، وهذه التعددية في الأسماء يتبعها تعددية في العلاقات والأحداث التاريخية، " فقد انتشر في بلاد الكرج منذ القرن الرابع الميلادي ست لغات هي الأرمينية والكرجية والخزرية والآشورية والعبرية واليونانية، إلا أنه على الرغم من وجود لهجات عديدة، فقد ساد بلاد الكرج لغة كرجية موحدة " (٧)، واللغة الجورجية تنتمي إلى اللغات القوقازية، بل " تعتبر اللغة الجورجية أهم عضو في عائلة لغات جنوب القفقاز وتسمى الكارتيفية " (٨).

وقد خلصت الأبحاث اللغوية حول اللغات القوقازية إلى ثلاث نظريات لتصنيف اللغات القوقازية - والتي منها الجورجية - وهي " أن اللغات القوقازية تنتمي لمجموعة اللغات الأندوأوربية والأيبيرية، أو تشكل مجموعة اللغات اليافثية، وهي أقدم مجموعة لغوية بالعالم، أو أن اللغات الأندوأوربية واللغات القوقازية ولغة الحضارة الأوراتو تعود لذات الأصل " (٩).

ولقد ظهر المنصر العربي في جورجيا - إبّان الفتوحات الإسلامية - في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، " ويُقسّم المؤرخون الجورجيون بقاء العرب في جورجيا إلى ثلاثة مراحل أساسية وهي :

١- من دخول العرب في جورجيا منتصف القرن السابع الميلادي إلى تأسيس الإمارة التفليسية في ثلاثينيات القرن الثامن الميلادي وهي مرحلة جهد الخلافة العربية من أجل تحكمها في هذا البلد، من المرتبط بهذه المرحلة كتاب الأمان الصادر من قبل القائد العربي حبيب بن مسلمة لسكان جورجيا الشرقية، وكانت تنافس العرب على السيطرة في هذه المنطقة الإمبراطورية البيزنطية في بداية الأمر وبعدها الخزر.

٢- من ثلاثينيات القرن الثامن الميلادي إلى ثمانينيات القرن التاسع الميلادي يعني من تأسيس الإمارة التفليسية (بعد الغزوات لجيوش العرب بقيادة الجراح بن عبد الله ومروان بن محمد) إلى انعزال هذه الإمارة عن الخلافة العربية وتحولها إلى الإمارة المستقلة، وهي مرحلة الحكم العربي المستقر في جورجيا الشرقية.

٣- من منتصف القرن التاسع الميلادي إلى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي (حتى تحكم الأتراك في الشرق الأوسط) وهي مرحلة القضاء على الحكم العربي في جورجيا بصفة عامة على الرغم من عدة غزوات عربية إلى جورجيا (على سبيل المثال الغزو بقيادة أبي القاسم الساج إلى جوجيا وأرمينيا)، وفي هذه الفترة إن الإمارة التفليسية كانت آخر بقية للحكم العربي في جورجيا، وعارضت هذه الإمارة بأمرائها المحليين حكومة الخلافة المركزية " (١٠)

وقد قدّم فايز نجيب إسكندر دراسة تحليلية لعهود الصلح والأمان المبرمة بين المسلمين والكُرج "الجورجين" ، كعهد حبيب بن مسلمة الفهري (١١) لأهل تفليس، وعهد الجراح بن عبد الله الحكمي (١٢) لأهل تفليس، وذلك مما ترتب عليه قيام الإمارة العربية في تفليس والتي سُميت " إمارة تفليس "، وخلص من تلك الدراسة إلى أن عهود الأمان تضمنت الكثير من المزايا منها : " الجزية الضئيلة القيمة، وتعهد المسلمين بالدفاع عن بلاد الكرج إذا ما قام عدو بغزوها، ومنحهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وتأمين أراضيهم ومنازلهم وكنائسهم وأديرتهم تمسكاً بما جاء في القرآن الكريم من أن اليهود والنصارى أهل كتاب. وكان من عادة المسلمين اتخاذ سياسة التسامح الديني وحماية أتباع الشرائع السماوية طالما خضعوا للسيادة الإسلامية وأدوا الجزية المفروضة عليهم. " (١٣)، ولعل هذه الميزات هي التي أغرت كثير من سكان تفليس إلى الدخول في الإسلام - آنذاك - وفقاً لنص بإقوت الحموي " وأسلم أهلها " (١٤)

وخلال استقرار الأمر للعرب في جورجيا - تفليس خاصةً - " هاجرت إلى الأرض الجديدة جماعات من المسلمين وأقامت في حواضرها واتخذتها موطناً ومستقراً، وكانت عاصمة بلاد الكرج تفليس " من أهم المدن التي استقبلت أفواج الهجرة